الفصل الأول

(ملامح الحياة العلمية في الأزهر)

1 – تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين .

2 – الحياة العلمية في عهد الأيوبيين .

3 – الحياة العلمية في عصر المماليك .

4 – الحياة العلمية بعد عصر المماليك .

1 - تحويل الجامع للدراسة في عصر الفاطميين

قام الفاطميون بخطوة مهمة في تاريخ الجامع الأزهر وهي تحويله للدراسة بجانب العبادة، وبدأت تعقد فيه حلقات للدرس وذلك عندما جلس الوزير يعقوب بن كلس[1] بإلقاء دروسه في الفقه من كتابه الذي ألّفه وكان يعرف بالرسالة الوزيرية. كما عقد أيضاً القاضي (ابن النعمان)[2] مجالس كان يلقي فيها محاضرات على جمهور المستمعين من كتاب سمي (الاقتصار في الفقه الشيعي)، وطلب هذا القاضي إثبات من يحضره من هذه المجالس في دفاتر[3].

كما يعود الفضل للوزير (يعقوب بن كلس) بأنه أول من طلب من الخليفة العزيز بالله أن يخصص للعلماء في الأزهر مرتبات شهرية وأن يقيموا في مساكن حول الجامع الأزهر، كما قام هذا الوزير بترتيب دروس في منزله يحضرها العلماء والشعراء وكان يتقابل معهم كل يوم ثلاثاء. أما دروسه العامة فكان يلقيها يوم الجمعة في الجامع الأزهر بحضور جمع غفير من القضاة والشعراء والفقهاء[4]. وكان لدروسه نظم ومراسيم خاصة، فبعد أن ينتهي من إلقاء دروسه بالجامع الأزهر يقوم الشعراء بإلقاء قصائد المدح في يعقوب ابن كلس وفي شهر رمضان كانت مآدب الطعام تقدَّم لجماعة الفقهاء[5]. وبتلك الأعمال يكون الوزير يعقوب بن كلس واضع أول نظم المدراسة في الجامع الأزهر، وسيتحول الجامع بعدها إلى معهد علمي له شهرة ستصبح ملازمة له حتى الآن وستصبح له مناهجه الخاصة في التعليم وعلوم اشتهر بها وأصبحت عَلَماً عليه.

---

1 - يعقوب بن كلس: كان يهودياً ثم أعلن إسلامه، كان من كتّاب كافور الإخشيدي، وبعد قيام الدولة الفاطمية في مصر أصبح وزيراً لها ويعتبر أول وزير للدولة الفاطمية، وأول من اهتم بالأزهر، وتوسط لعلمائه لدى الخلفاء لتقرير رواتب لهم، توفي عام 380 / 990 م. انظر السيوطي: حسن المحاضرة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1968م، جـ2، ص 201.

2 - ابن النعمان: أبو الحسن بن النعمان كان قاضياً شيعيًا، وأول من لُقّب بلقب قاضي القضاة، وتولى التدريس بالأزهر، وتوفي عام 774هـ/ 984م. انظر السيوطي: المصدر السابق، جـ2، ص 147

3 - المقريزي: الخطط، جـ3، ص 274.

4 - المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ص 274.

5 - نفسه، جـ3، ص 275.

مناهج الدراسة في الأزهر:

كانت الدراسة في الجامع الأزهر تتم على شكل الحلقات العلمية ومعنى الحلقات هو تحلُّق الطلاب حول المدرس في الجامع ، وتعتبر الحلقات العلمية هي أنسب النظم الملائمة لشكل الجامع ، حيث إنها لا تحتاج لمقاعد ولكن يجلس الطلاب على الحصر. ولم يتفرد الأزهر بهذا الشكل التعليمي بل شاركته فيه جوامع أخرى . وكانت الحلقات العلمية التي كانت تُعقد في الجامع الأزهر تنقسم إلى حلقات مخصصة للدارسين وحلقات خاصة . فالحلقات المخصصة للدارسين يتولاها علماء يقومون بشرح الفقه وعلوم الدين المختلفة ، وتوقيت عقد هذه الحلقات هو يوم الجمعة بعد الصلاة وتمتد حتى صلاة العصر ، وقد بلغ عدد العلماء الذين يقومون بإدارة تلك الحلقات حوالي سبعة وثلاثين عالماً [1] كان من أشهرهم أبو يعقوب[2] .

وكانت هناك حلقات خاصة يعقدها داعي الدعاة[3] وتسمى مجالس الحكمة ، وكانت تخصص للنقاش في الأمور الدينية والموضوعات المتعلقة بالفقه والتفسير ، وكان يخصص في هذه الحلقات حلقات تحضرها النساء لكي يتفقهن في أمور الدين[4] .

أما عن طريقة التدريس فكانت تتم عن طريق قراءة الدرس في الكتب المقررة مع إملاء أجزاء من الكتاب [5] في كل درس يتم شرحه لكي يكون لدى الطالب مرجع يعود إليه في وقت الحاجة ، كما يكتب الطالب ملاحظات المعلم على الشرح ومنها ظهرت بعد

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج3 ، ص274 .

2 - أبو يعقوب : فقيه من فقهاء الدولة الفاطمية ، كان يُعرف باسم أبي يعقوب قاضي الخندق ، ولم توضح المصادر القديمة أي شيء عنه. انظر محمد النادي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970 ، ص106 .

3 - داعي الدعاة : منصب من مناصب الدولة الفاطمية ، يلي في المرتبة مذهب قاضي القضاة ، ويرتدي صاحب المنصب نفس رداء القضاة ، وكان من اختصاص المنصب قراءة مذهب آل البيت ، وبتولى الراغبين في دخول المذهب الشيعي . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 482 .

4 - المقريزي : الخطط ، ج 3 ، ص276 .

5 - حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، لبنان ، 1994م ، جـ1 ، ص 47 .

ذلك كتب المتون والحواشي .

وبخصوص العلوم التي كانت تُدرس بالجامع الأزهر فيمكن تقسيمها إلى علوم عامة ، وهي التي كان يدرسها جميع الطلاب في أنحاء العالم الإسلامي مثل علوم الدين وعلوم اللغة . وعلوم خاصة وهي العلوم الخاصة بالدعوة الشيعية الإسماعيلية مثل دراسة الفقه الشيعي والعقائد[1] .

أما الكتب التي كانت تدرس في الجامع الأزهر في تلك الفترة فأشهرها كتاب دعائم الإسلام. كتاب الاقتصار للقاضي النعماني القيرواني . وكتاب الرسالة الوزيرية ومختصرها التي ألّفها الوزير يعقوب بن كلس ، وهو كتاب في الفقه الشيعي رُتّب على حسب أبواب الفقه [2] وكان من الكتب المعتمدة في الفتوى ، وكان هذا الكتاب أيضاً يدرس في جامع عمرو بن العاص ، أما بالنسبة لكتاب الاقتصار فهو ملخص لكتاب في الفقه الشيعي اختصره القاضي النعمان وقام ابنه بتدريسه في المحاضرات التي كان يلقيها في الجامع الأزهر.

وكما تنوع الاهتمام بتدريس العلوم في الأزهر تنوع أيضاً الاهتمام بالعلماء والطلاب الذين كانوا يتعلمون ويدرسون في الأزهر ، وقد وجدوا عناية كبيرة من الخلفاء والوزراء وقد تنوع الطلاب من حيث النوع فكان هناك طلاب من الذكور وطلاب من الإناث ، لذا كان من الطبيعي أن يبرز علماء في كافة المجالات ويكون لهم أثر في إثراء الحياة العلمية في الأزهر.

اهتمام الفاطميين بعلماء الأزهر ومظاهر تكريمهم وأشهرهم:

اهتم الخلفاء الفاطميون بعلماء الأزهر وشجّعوهم ، وكان دافع الخلفاء إلى ذلك التشجيع والتكريم ، هو أن دولة الفاطميين في مصر قامت على أساس مذهبي ، وكان

---

1 – المقريزي : الخطط ، ج3 ، ص 274 .

2 – رُتّب أبواب الفقه على النحو التالي :باب العبادات ويتناول العبادات من صلاة وصوم ... الخ وباب المعاملات ويتناول البيوع والنكاح والطلاق.

احتياجهم للعلماء ضرورياً ، حيث كان هؤلاء العلماء يتولون نشر الدعوة الشيعية والترويج لها ، وقد تباينت مظاهر التشجيع ما بين تشجيع مادي، وتشجيع معنوي.

ومن أبرز مظاهر التشجيع المادي إغداق الأموال على العلماء لكي يتفرغوا لنشر العلم ، كما كان يتم تخصيص الدور لسكنى هؤلاء العلماء بجوار الأزهر[1]. وقد تجلت هذه المظاهر في عهد الخليفة العزيز بالله ، حيث ذكر المقريزي[2] أن الوزير يعقوب ابن كلس طلب من الخليفة العزيز بالله ترتيب رزق جماعة من العلماء فأمر العزيز بالله بتخصيص أموال لشراء منازل خاصة لهؤلاء العلماء ، وتخصيص بغال يركبها هؤلاء العلماء في الاحتفالات التي كانوا يشاركون فيها ، كما أن الإغداق المالي على العلماء لم يكن مقصوراً على الخلفاء فقط ، بل تبارى الوزراء أيضاً في الإغداق على هؤلاء العلماء وترتيب دروس في منازلهم ، ويكفي للتدليل على ذلك ما قام به الوزير يعقوب بن كلس من تحويل منزله لمتدى يجمع العلماء والشعراء ، كما كان يخصص لهم أموالاً وأطعمة كانت تُقدم لهم[3].

أما عن التكريم المعنوي للعلماء فهو قيام الخلفاء باصطحابهم المدرسين في المواكب التي كانوا يقيمونها ، ومن أشهرها موكب فتح الخليج[4] والأعياد ، كما كانت تخصص لأصحاب بعض المناصب العلمية ملابس من كسوة الخلفاء أنفسهم.

وقد تولى الخلفاء الفاطميون تعيين المدرسين في الجامع الأزهر وترتيب الدروس لهم بمواعيد منتظمة ، وكانت بدايات التعيين في الجامع الأزهر ، عندما صدر أمر بتعيين ما يفوق عن ثلاثين[5] عالماً لتولي التدريس بالجامع ، وكانوا يعقدون مجالسهم في كل يوم جمعة عقب صلاة العصر ، وكان صاحب فكرة التعيين ومقترحها هو الوزير

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 363 .
2 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 274 .
3 - ابن خلكان : مصدر سبق ذكره ، جـ7 ، ص 29 .
4 - المسبحي : مصدر سبق ذكره ، ص 30 .
5 - النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990م ، جـ30 ، ص 136 .

يعقوب بن كلس كما سبق القول . وكان من الطبيعي نتيجة تشجيع العلماء والرعاية التي وجدوها من قبل الخلفاء الفاطميين مع تنوع مجالات الدراسة ،أن ظهرت جماعات كبيرة من العلماء في العصر الفاطمي سواء من تولوا التدريس في الجامع الأزهر أو كان لهم نشاط علمي في خارج هذا الجامع ،والملاحظ على هؤلاء العلماء تنوع مجال دراساتهم وتخصصاتهم فظهر منهم المؤرخون والمتكلمون والفلاسفة.

وكان من أشهر علماء التاريخ في العصر الفاطمي المؤرخ العالم الحسن بن ذولاق المتوفى في سنة 387هـ/ 988م وله جملة من التآليف في التاريخ مثل كتاب أخبار قضاة مصر[1]. ومن كوكبة علماء التاريخ الذين ظهروا في هذا العصر «المسبحي» وكان يلقي دروساً في التاريخ وله مصنفات تاريخية أيضاً من أشهر الكتب التي صنفها «أخبار مصر في سنتين» وقد توفى المسبحي في عام 420 هـ/1029م[2]. ولذلك ظهر المؤرخ القاضي أبو عبد الله بن سلامة القضاعي المتوفى سنة 454هـ/ 1062م ومن أشهر مؤلفاته كتاب عن تاريخ مدينة القاهرة وخططها[3] ، وله من المؤلفات أيضاً كتاب مناقب الإمام الشافعي ، وكتاب الأنبياء ، وكتاب تاريخ الخلفاء.

أما عن علماء اللغة الذين ظهروا في العصر الفاطمي ، وكانت كتبهم تدرس في الأزهر (الحوفي)[4] المتوفى سنة 430 هـ/1038م وكان له باع طويل في تفسير القرآن الكريم وعلم النحو ومن أشهر مؤلفاته كتاب إعراب القرآن الكريم في عشرة أجزاء[5]. واشتهر أيضاً العالم ابن بابشاذ النحوي، واسمه الحقيقي «أبو الحسن طاهر بن أحمد»

1 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ2 ، ص 91، 92.

2 - ابن خلكان: المصدر السابق ،جـ5 ، ص 377 ، 379 .

3 - علي مبارك : الخطط التوفيقية ،جـ5 ، ص 117 .

4 - الحوفي : أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي النحوي ، كان عالماً في اللغة العربية وعلم التفسير ، تتلمذ على يد أبي بكر الإدفوي، ولقي جماعة من علماء المغرب وتصدر لإقراء اللغة العربية ،من أشهر مؤلفاته ، كتاب إعراب القرآن الكريم ، وله قصائد في علم النحو ، توفي عام 430هـ/ 1038م .انظر : المصدر السابق ،جـ2 ، ص 300 ، 301.

5 - حاجي خليفة : كشف الظنون ،جـ1 ،ص 152 .

ومن أشهر مصنفاته كتاب شرح الأصول[1] وشرح الجمل[2] وتوفي ابن بابشاذ في سنة 469هـ/ 1077م ومن علماء القراءات اشتهر العالم (أحمد بن هشام) [3] المصري المتوفى سنة 560 هـ/ 1164م ، وكان يعتبر من أئمة علم القراءات واشتهر بنسخ الكتب الأدبية.

ولم يقتصر العلماء في العصر الفاطمي على العلوم اللغوية والشرعية فقط ، بل وجدت العلوم الطبيعية والفلسفية لنفسها مكاناً في جنبات الجامع الأزهر . فمن علماء الطبيعة الذين اشتهروا في هذا العصر ابن يونس[4] المنجّم الفلكي المصري وله مؤلف كبير في أربعة مجلدات عن علم الفلك ، كما قام بوضع جدول فلكي عرف باسم الزيج الحاكمي، نسبة للحاكم بأمر الله الفاطمي ، كما كان له اهتمامات بفن الشعر[5].

وهكذا نشط الأزهر نشاطاً علمياً واضحاً لكن هذا النشاط وجد منافسة من مدرسة علمية أخرى عُرِفت بدار الحكمة ، تلك الدار التي قام بإنشائها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام 395هـ/ 1005 م وقد خصصت هذه الدار لدراسة المذهب الاسماعيلي[6]،

---

1 – شرح الأصول : هو شرح لكتاب ابن السراج في النحو ، واسم المؤلف الحقيقي أبو بكر محمد النحوي وتناول اختلاف النقل ، واختلاف الأقوال . انظر حاجي خليفة ، مصدر سبق ذكره ، جـ2 ، ص 479 .

2 – شرح الجمل : هو شرح لكتاب الجمل تأليف أبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، المتوفى سنة 339هـ/940 م ، وتميز الكتاب بطوله وكثرة أمثلته وموضوعاته في النحو . انظر المصدر السابق ، جـ2 ، ص 472 ، 473 .

3 – ابن هشام : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الخطيئة الفاسي ، ولد عام 478هـ/ 1085م في مدينة فاس بالمغرب، وانتقل للإقامة في مصر ، واشتهر بالصلاح وحب الأدب ، وكان من علماء القراءات السبع ، وكان يتولى نسخ الكتب بيده ، توفي عام 560 هـ/ 1161م. انظر ابن خلكان : مصدر سبق ذكره ، جـ1 ، ص170.

4 – ابن يونس : أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، كان مختصاً بعلم الفلك والنجوم ، بارعاً في الشعر ، وكان يتميز بأحوال غريبة مثل صعوده للمقطم وارتدائه ملابس خاصة لكل نجم من النجوم، من أشهر مؤلفاته الزيج الحاكمي ، توفي عام 399هـ/ 1008م . انظر ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 429 ، 431 .

5 – نفسه ، جـ3 ، ص 429، 431 .

6 – دار الحكمة : افتتحت في شهر جمادى الآخر عام 395هـ/ 1005م ، وحملت الكتب إليها من خزانة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وشهدت إقبال كثير من القراء وناسخي الكتب ، كما هيئت بالعمال والخدم للعناية بها ، وكانت تعطي كل طالب علم ما يلزمه من أوراق وأقلام بالإضافة لصرف رواتب لهم وقد أغلقها الأفضل ابن بدر الجمالي ، ثم أعيد افتتاحها عام 517هـ/ 1133م . انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا في ذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1996م ، جـ2 ، ص56 .

وقد نافست هذه الدار الأزهر لمدة ما يقرب من مائة عام. ولذلك يجدر بنا أن نوازن بين الأزهر وهذه الدار.

أولاً : أوجه الشبه بين الأزهر ودار الحكمة :

من اللافت للنظر أن التعليم كان في الجامع الأزهر بالمجان دون أن يتكلف الطالب أية مبالغ ، وكذلك دار الحكمة كانت الدراسة فيها بالمجان. ومن ناحية التمويل فقد خصص للأزهر أوقاف للصرف منها على الجامع ، وكذلك دار الحكمة خصصت لها أوقاف[1].

ثانياً : أوجه الاختلاف بين الأزهر ودار الحكمة :

من أبرز مظاهر الاختلاف بين الأزهر ودار الحكمة هو الناحية التعليمية ومن ناحية المناهج ، فبينما كان الأزهر يتولى تدريس العلوم الدينية والعربية وبعضاً من العلوم العقلية[2] ، نجد أن دار الحكمة كانت مخصصة لدراسة مبادئ المذهب الاسماعيلي.

كما وجد اختلاف أيضاً من حيث شروط قبول الطلاب ، فبينما كانت دار الحكمة لا تقبل إلا الطلبة الذين يعتنقون المذهب الاسماعيلي نجد أن الأزهر كان لا يشترط هذا الشرط[3].

والناحية الأخرى من الاختلاف أن الأزهر كان الهدف منه هو تخريج عالم الدين بينما دار الحكمة كان يتخرج منها دعاة المذهب الاسماعيلي بالإضافة لاستمرار الأزهر في دوره حتى اليوم بينما دار الحكمة لم تصمد طويلاً ودارت حولها الأقاويل مما حدا بالدولة الفاطمية لإغلاقها في عام 513هـ/ 1119م[4]. وعلى أية حال فقد استمر الأزهر في القيام

---

1 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 158 ، 159 .

2 - المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ2 ، ص 56 .

3 - المصدر السابق ، جـ2 ، ص 56 .

4 - المقريزي : نفسه ، جـ2 ، ص 56 .

بدوره العلمي والتعليمي في العصر الفاطمي ، ولكن في نهاية العصر الفاطمي وقيام العصر الأيوبي تحول الأزهر إلى كم مهمل نتيجة لسياسة الدولة الأيوبية ، ولكن على الرغم من عدم الاهتمام الرسمي ظل الأزهر موجوداً في الوجدان الشعبي حتى استأنف دوره في عصر سلاطين المماليك.

2 - الحياة العلمية في عهد الأيوبيين

بظهور المدارس والخانقاوات التي قام بإنشائها سلاطين الدولة الأيوبية والتي أشرنا إليها أصبح الأزهر يتعرض لمنافسة من تلك المدارس، حيث اجتذبت إليها أعداداً كبيرة من العلماء نتيجة الإغراءات المالية التي كانت تعطى لمن يعمل في هذه المدارس بسبب وفرة مواردها المالية. وعلى الرغم من ذلك احتفظ الأزهر بشيء من مكانته العلمية وكان مفتوحاً لجميع المسلمين من كافة البلاد، وكان السبب في احتفاظ الأزهر بمكانته العلمية تدريسه لكافة العلوم، على العكس في المدارس التي قامت على أساس تخصيصها لمذاهب معينة، كما حدث في هذا العصر أقصد العصر الأيوبي[1].

كما كان الأزهر مقصداً للعلماء الوافدين إلى مصر ويعتبر الجلوس للتدريس فيه شرفاً لكل عالم. ومن أشهر العلماء الوافدين إليه (عبد اللطيف البغدادي)[2] الذي قدم إلى الأزهر في سنة 589هـ/ 1193م وجلس للتدريس فيه حوالي ست سنوات، وكان يقوم بتدريس علم الطب، وكان يعتمد في تدريس ذلك العلم على الطريقة التجريبية العملية[3] التي تعتمد على المشاهدة تبدأ غالباً في أول النهار إلى وقت الظهيرة[4]. وقد وصف لنا مواقيت الدراسة في الأزهر، حيث كانت تبدأ الدراسة من مطلع النهار إلى وقت الليل، ومن العلماء الذين وفدوا على مصر والأزهر في عهد الدولة الأيوبية العالم ابن خلّكان[5] الذي وضع كتابه المشهور في مصر. وبذلك يكون الأزهر قد واصل مسيرته العلمية في

---

1 - كانت المدارس تخصص للدراسة فرع معين من العلوم فمثلاً الكاملية خصصت لدراسة الحديث.

2 - عبد اللطيف: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، طبيب مشهور، زار مصر في عصر الدولة الأيوبية، ودرس بالأزهر وله كتاب الإفادة والاعتبار، وقد نشر هذا الكتاب في مصر سنة 1937م. انظر ترجمته في مقدمة كتاب الإفادة والاعتبار.

3 - عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة، قام بنشره سلامة موسى بالمجلة الجديدة، القاهرة 1937م، ص 11.

4 - المصدر السابق، ص 11.

5 - ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص 446.

العصر الأيوبي ، ولم تؤثر فيه الحوادث التي مر بها من حيث قطع الخطبة أو إهماله بشكل يجعله يفقد دوره التعليمي والتثقيفي بشكل كامل ، ذلك الدور الذي برز بشكل كبير في عصر سلاطين المماليك .

3 - الحياة العلمية في عصر المماليك

كانت العلوم التي تُدرَّس في الأزهر ، هي نفس العلوم التي كانت سائدة في المعاهد العلمية الأخرى في العالم الإسلامي ، وانقسمت هذه العلوم إلى علوم نقلية منقولة عن السلف ، وعلوم عقلية تعتمد على ملكات التفكير ، وفيما يلي حديث عن أشهر تلك العلوم .

أما العلوم النقلية فيأتي على رأسها العلوم الدينية التي من أهمها علوم القرآن الكريم ، وتشمل هذه العلوم علم القراءات وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم أسباب النزول وعلم الرد على المطاعن . وبالنسبة للعلم الأول وهو علم القراءات فقد اهتمت به برامج التعليم في الأزهر ، وكان من شروط تولي خطابة الجامع الأزهر أن يكون الخطيب من رجالات هذا العلم ، الذي كان الغرض منه معرفة القراءات السبع التي يقرأ بها القرآن الكريم[1].

ومن العلوم النقلية الدينية أيضاً والتي كانت تُدرَّس في الأزهر علوم التفسير وهو علم يهتم بفهم معاني القرآن الكريم ، وينقسم بدوره إلى نوعين هما تفسير عقلي وتفسير نقلي ، فأما التفسير النقلي فيعتمد على الروايات المتواترة بدون إعمال الرأى[2] ، بعكس التفسير العقلي الذي يعتمد على الرأي وعلى الروايات المتوافرة أيضاً.

ومن العلوم النقلية الدينية التي كانت تدرس في الأزهر أيضاً علم الحديث النبوي الشريف . وقد اهتم به المسلمون لأنه مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وتدور موضوعاته حول معرفة الناسخ والمنسوخ وتصحيح السنة[3]. واشتهر بتدريس

---

1 - ابن خلدون : المقدمة ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 488 .

2 - ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 490 ، 491 .

3 - نفسه ، ص 491 ، 492 .

علم الحديث ابن حجر العسقلاني[1] الذي وفد إلى مصر ودرّس وخطب في الجامع الأزهر.

ويأتي علم الفقه ضمن العلوم الدينية الهامة التي وجدت مجالاً في رحاب الأزهر، لأن هذا العلم تتم به معرفة الأحكام الشرعية[2]. وكان يرتبط به علم آخر وهو علم أصول الفقه، وموضوعات هذا العلم هي معرفة مصادر التشريع مثل القرآن الكريم والسنة النبوية واستنباط الأحكام منهما ومن العلوم التي ارتبطت أيضاً بالفقه وأصوله علم الفرائض وهو علم البحث في معرفة توزيع الأنصبة الشرعية في المواريث[3]. وكانت طريقة تدريس الفقه وغيره من العلوم بصفة عامة تعتمد على نظام الحلقات وكل حلقة كانت تخصص لتدريس مذهب معين من المذاهب الأربعة.

ومن أشهر العلوم الدينية علم التصوف، وكان تدريسه حديث العهد في تلك الفترة. وتعود أسباب نشأة هذا العلم إلى انشغال الناس بالأمور الدنيوية وتركهم الاهتمام بالدين[4]. وكانت موضوعات هذا العلم متنوعة، وتتطلب التخصص الدقيق في التأليف. فمثلاً نجد أن القشيري والسهروردي تخصّصا في نوع معين في هذا العلم، فمثلاً القشيري[5] تخصص في الكتابة عن الورع ومحاسبة النفس، بينما نجد السهروردي

---

1 - ابن حجر: أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، الشافعي، تتلمذ على يد الأشيطي والقطان تولى مشيخة المدرسة البيبرسية وتولى الخطابة بالجامع الأزهر ودرس التفسير والحديث، من أشهر مؤلفاته شرح البخاري والدرر الكامنة، وإنباء الغمر، توفي عام 852هـ/1448م. انظر السخاوي الذيل على رفع الإصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص 75، 76.

2 - ابن خلدون: المقدمة، ص 497.

3 - ابن خلدون: المقدمة، ص 503، 504.

4 - القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ولد عام 376هـ/ 986م في خراسان، تلقى العلم على يد علي بن الحسن بن علي النيسابوري وبكر بن أبي بكر الطوسي، من أشهر مؤلفاته التيسير في علم التفسير والرسالة في الفقه، توفي عام 465هـ/ 1072م. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ3، ص 205: 208.

5 - السهروردي: أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه، ولد في مدينة سهرورد عام 539هـ/ 1144م، تلقى علم التصوف عنه عمه أبو النجيب، من أشهر مؤلفاته عوارف المعارف، توفي عام 632هـ/ 1234م، ببغداد. انظر ابن خلكان، المصدر السابق، جـ3، ص 446، 448.

قد تخصص في الكتابة عن العلوم المختصة بالتصوف فيما نجد من الصوفية من اشتهر بالتأليف في الفرعين مثل الغزالي[1]. وقد وجد هذا العلم لنفسه مكاناً في جنبات الجامع الأزهر، وتولى تدريسه مشايخ مشهورون ومشهود لهم في علم التصوف من أمثال «قنبر ابن عبد الله العجمي الشيرازي»[2].

ومن العلوم التي ارتبطت بالعلوم الشرعية ارتباطاً وثيقاً علم النحو والصرف والبيان والعروض وعلم اللغة. وقد ألف في هذه العلوم الكثير من الكتب، وتولى تدريسها والتأليف فيها نخبة من العلماء مثل ابن هشام[3] وابن منظور[4].

أما العلوم العقلية التي درست في الجامع الأزهر فهي عديدة منها علم الرياضيات والمنطق والفلسفة والموسيقى، ففي علم الرياضيات وفرعها من الجبر وعلم المساحة نجد أن هنالك علماء برزوا في تدريسها من أمثال أحمد الجيني المتوفي سنة 885هـ/ 1480م. كما ارتبط بعلم الرياضيات أيضاً علم الحساب ومن أشهر مدرسي علم الحساب ابن الهائم المتوفى سنة 815هـ/ 1412م.

ومن فروع العلوم العقلية التي وجدت عناية بالجامع الأزهر علم الموسيقى الذي وجد من يقوم بتدريسه والتأليف فيه. ومن أشهر العلماء الذين برعوا في الموسيقى

---

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص 523.

2 - قنبر بن عبد الله: العجمي الشيرازي، كان شافعي المذهب، تتلمذ على يد أبيه، وكان أستاذاً في علم المعقولات، وتولى التدريس بالأزهر، واشتهر بميله للزهد، ومن أشهر تلاميذه البساطي والسخاوي، توفي في شهر شعبان سنة 801هـ/ 1398م، انظر السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص 225.

3 - ابن هشام: جمال الدين عبد الله بن يوسف المصري، ولد في سنة 708هـ/ 1308م، وتوفي في سنة 761هـ/1359م، وكان له شهرة كبيرة في علم النحو واشتهر في مصر وبلاد المغرب العربي، وكان يقال عنه أنه أنحى من سيبويه. انظر السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص 536.

4 - ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري، من بيت مشهور بالنباهة، برز في علم العربية والفقه والأصول والقراءات، ولد عام 630 هـ/1232م، تتلمذ على يد أبي عبد الله بن الفخار، من أشهر مؤلفاته اللمع الجذبة في كيفية تحدث العربية، وكتاب لسان العرب، أغنى قاموس عربي على الإطلاق، توفي عام 711هـ/ 1311م، انظر السيوطي: بغية الوعاة في الطبقات اللغوية والنحاة، دار الفكر، لبنان، 1979م، جـ2، ص 136، 137.

بالأزهر (أبو النجا بن خلف) المصري الشافعي[1].وبالنسبة لعلم الكيمياء فقد قام بتدريسه في الأزهر كوكبة من العلماء، من أشهرهم «محمد بن عبد الرحمن بن عيسى[2]» 760 - 853هـ/ 1359 - 1449م. أما الهندسة فقد اشتهر بها أحمد السجيني المتوفى سنة 885هـ/ 1480 م[3].

أما عن الكتب التي اختص الأزهر بتدريسها في مجال هذه العلوم، فقد تنوعت طبقاً لهذه العلوم التي كانت تدرس في الأزهر، وكان لكل فرع من العلوم كتبه المشهورة. فبالنسبة لكتب الفقه كانت تدرس كتب عديدة حسب المذهب مثل موطأ الإمام مالك[4] بالنسبة للفقه المالكي والمنهاج في الفقه الشافعي، وبالنسبة لأصول الفقه فكان يدرس كتاب الورقات في الأصول. وبالنسبة لعلم الحديث فكانت تدرس كتب الصحاح الستة، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، وبالنسبة لعلم تخريج الأحاديث فكانت تدرس كتب مثل البدر المنير، وبالنسبة لعلوم اللغة العربية فقد كانت كتب التدريس هي كتاب اللمحة البدرية في النحو، تأليف ابن حيان وشذور الذهب لابن هشام وألفية ابن مالك[5].

امتيازات العلماء الأزهريين في العصر المملوكي:

كان العلماء الأزهريون في العصر المملوكي يتمتعون بامتيازات كثيرة من حيث ألقابهم

---

1 - أبو النجا بن خلف: خلف بن محمد بن محمد بن علي المصري الشافعي، ولد في سنة 849هـ/ 1445م بمصر العتيقة، حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والموسيقى والتفسير بالأزهر. انظر السخاوي: الضوء اللامع، جـ11، ص 143 - 145.

2 - محمد بن عبد الرحمن بن عيسى: بن سلطان أبو الفيض، ولد في سنة 760هـ/ 1358م بمدينة غزة، وقدم للقاهرة في سنة 805هـ/ 1402م، برع في علم الكيمياء، وتتلمذ على يد السخاوي، توفي في سنة 853هـ/ 1449م. انظر السخاوي: المصدر السابق، جـ7، ص 298، 299.

3 - التمبكتي مصدر سبق ذكره، جـ1، ص 376، 377.

4 - أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م، ص91.

5 - أحمد بابا التمبكتي. مصدر سبق ذكره، ص 334.

ووظائفهم ، وتعيينهم ، والترتيب الطبقي لهم . من الألقاب التي كانت تطلق على العلماء سيد العلماء والحكام وأوحد العلماء وكانت هذه الألقاب للعلماء من أصحاب المرتبة العالية ، أما العلماء الذين يلونهم في الطبقة فكان يُطلق عليهم تاج العلماء والحكام وأيضاً كان يطلق عليهم شرف العلماء والحكام[1]. وهذه الألقاب ألقاب رسمية . كما وجد أيضاً بجوارها ألقاب كان يطلقها العلماء على بعضهم مثل الرحلة والعلامة والصدر .

ومن حيث الوظائف التي كان يتولاها العلماء فقد انقسمت أيضاً إلى عدة أقسام ، فمنها ما كان له صلة بالسلطان أي وظائف رسمية مثل وظيفة قاضي القضاة ، وقاضي العسكر[2] ، ووكالة بيت المال ، والحسبة والفتوى في دار العدل . أما الوظائف الغير رسمية فقد انقسمت بدورها إلى قسمين هما وظائف يتولاها شخص واحد فقط مثل نقابة الأشراف ومرتبة مشيخة الشيوخ وناظر الأحباس وناظر البيمارستان ، ومن يتولاها شخص أو أكثر مثل الخطابة وكانت تعتبر أصل الوظائف لدى العلماء ، وأيضاً مهنة التدريس[3].

أما عن تعيين العلماء فكان يتم من طريقين هما تعيين عن طريق السلاطين ويكون في المساجد الخاصة بالدولة مثل جامع القلعة[4]. أو في المدارس ذات الأهمية الخاصة مثل المدرسة الصلاحية[5] والزاوية الصاحبية[6] بجامع عمرو بن العاص ، ووظائف التدريس بالجامع الطولوني. والطريقة الأخرى التي كان يتم بها تعيين العلماء فكانت

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 111.

2 - القلقشندي: المصدر السابق ، جـ4 ،ص 34 - 39.

3 - نفسه ، جـ4 ، ص 39.

4 - جامع القلعة : قام بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة 718هـ/ 1318م وعمره أحسن عمارة ، وأنشأ به قبة ، وبعد إتمام بنائه جلس فيه السلطان واستدعى له جميع المؤذنين ، ورتب به قراء ودرساً وخصص له أوقافاً كثيرة ،وكان مخصصاً ليؤدي السلطان فيه صلاة الجمعة . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 247 ، 248.

5 - المدرسة الصلاحية : لمزيد من التفصيل . انظر ص 24 من الفصل التمهيدي.

6 - الزاوية الصاحبية : أنشأها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين ، وخصص بها أوقافاً للإنفاق عليها ، انظر المقريزي : المصدر السابق جـ3 ، ص124 .

عن طريق ناظر الوقف وطبقاً لوصية الواقف[1].

وقد ساعدت الأوقاف التي كانت مخصصة للمدارس والمساجد [2] على تمتع العلماء نتيجة لتعدد مواردهم المالية بالاستغلال المالي ، مما سيكون له أثره بعد ذلك في استقلالهم بالرأي وتوجيههم للسلاطين والحكام.

أما عن الملابس التي كان العلماء يرتدونها ، فقد كانت تتميز بالبساطة ، وإن كانت مميزة عن غيرها من الملابس الخاصة لعامة الشعب . وكان زي العلماء يتكون من عباءة مفتوحة[3] ، وشاش كبير يتدلى بذؤابة بين الكتفين طويلة ، وقد تطول الذؤابة أو تقصر طبقاً لمرتبة العالم . وعلى العموم فقد كانت تلك الملابس تُنسج من الصوف أو خلافه عدا الحرير ، وقد كان للعلماء وسيلة انتقال خاصة بهم وهي امتطاء البغال المسرجة سروجاً غير مفضضة[4]. وكانت طبقة العلماء تأتي في المرتبة الخامسة من حيث الترتيب الطبقي[5]. وكان هذا الترتيب يخضع لاعتبارات اقتصادية فحسب وليس له علاقة بمكانة العلماء ، والدليل على ذلك أنه على الرغم من وضعية طبقة العلماء بالنسبة للترتيب الطبقي ، فقد كانوا حلقة وصل بين الحكام والمحكومين.

وقد تميز العلماء في العصر المملوكي بصفات خلقية نبيلة حيث تربطهم بطلبتهم علاقات الأبوة ، كما تميزوا بالتواضع ، مثال ذلك العالم (أحمد بن يعقوب الأطفيحي)

---

1 - وثائق السلطان حسن ، ص 401 .

2 -وثائق السلطان حسن ،المصدر السابق ، ص 401 .

3 -ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة ،1985م ،ص50 ،59 .

4 - المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص 51 .

5 - كانت تنقسم طبقة العلماء أربع طبقات وهي على الترتيب ،الطبقة الأولى طبقة الحكام والأمراء ، ويليهم في الطبقة الثانية التجار ، ويليهم في الطبقة الثالثة الباعة ، والطبقة الرابعة هم الفلاحون ، ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان له أسبابه في العصر المملوكي ولا يمنع ذلك أن العلماء قد تبوؤا مراكز طبقية متقدمة في العصور الإسلامية ، ومن الممكن أن يكون هذا الترتيب في عصر المقريزي وهو الذي ذكره في الكتاب الذي ألفه في عصر المجاعة . انظر المقريزي : إغاثة الأمة ، ص 123.

الذي كان يلقي دروسه وهو واقف [1]. ومن العلماء من تميّز بالزهد مثل العلامة (مهنا ابن علي البذاري)[2]. وكما كان لعلماء الأزهر صفات خلقية نبيلة ، فقد تميزوا أيضاً بصفات علمية فذة ، حيث تميز كثير منهم بالعقلية العلمية الموسوعية التي تفننت في كل العلوم ومن أشهرهم في ذلك النويري[3] ، والقلقشندي ، وغيرهما الكثير.

ومن أشهر علماء الأزهر الذين قاموا بالتدريس فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني – المتوفى سنة 852هـ/ 1448م. وقد اشتهر هذا العالم بتدريس علم الحديث ويعتبر من أشهر المحدثين في مصر وله العديد من المؤلفات مثل (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة (وله في التراجم كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)[4] وقد بلغت مؤلفاته حوالي مائة وخمسين مؤلفاً. ومن العلماء المشهورين بالأزهر أيضاً العالم (برهان الدين[5] والقلقاوي[6] والبحيري[7] . ومن علماء

---

1 – السخاوي : الضوء اللامع ، جـ2 ، ص 245 .

2 – المصدر السابق ، جـ10 ، 174 .

3 – النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري ، كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل بنسخ الكتب وخصوصاً كتب الأحاديث وقد نسخ صحيح البخاري حوالي ثماني مرات ومن أشهر مؤلفاته التي قام بتأليفها كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب في ثلاثين جزءاً ، توفي سنة 732هـ/ 1331م . انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، جـ1 ، ص 381 .

4 – السخاوي : الذيل على الإصر ، ص 75 ، 76 .

5 – برهان الدين : إبراهيم بن أحمد القاضي برهان الدين الأبوذري الأزهري ، ولد سنة 806هـ/1403م وتلقى العلم من الشهاب وأبي الفضل الشذالي والبساطي وتميز في علم الفقه وعلوم اللغة العربية ، وقام بالعديد من رحلات الحج ، توفي سنة 859هـ/163 م . انظر أحمد التنبكتي ، مصدر سبق ذكره ، ص 64.

6 – القلقاوي : داود بن علي بن محمد الأزهري ، تلقى العلم عن أبي القاسم النويري ، والزيني طاهر وأبي المجد ، كان ماهراً في علوم اللغة العربية والفقه ، وقام بالتدريس في الأزهر لمدة عشرين عاماً ، كما كان يدرّس في خانقاه سعيد السعداء ، من أشهر مؤلفاته مختصرات لشرح خليل وابن الحاجب ، توفي عام 902هـ/1496م . انظر أحمد بابا التنبكتي : المصدر السابق ، ص 176 ، 177 .

7 – البحيري : سليمان بن شعيب بن خضر ، ولد سنة 836هـ/ 1432م وقدم للقاهرة ، وكان يقرأ القرآن الكريم تتلمذ على يد المنهوري في الفقه ، وأخذ عن العلمي ، وأيضاً تلقى علم البلاغة عن عبد الله الكوراني ، اشتهر بالفقه وقام بالتدريس في الأزهر ، من أشهر مؤلفاته شرح إرشاد ابن عسكر وشرح الجمع . انظر المصدر السابق ، ص 186 ، 187 .

الأزهر الذين حازوا شهرة علمية بالأزهر الدماميني[1].

ولم يكن الأزهر وقفاً على العلماء المصريين فقط ، بل كان جهة ومقصداً للعلماء من كافة العالم الإسلامي ، ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين وفدوا على الأزهر ، وكان لهم دور في التدريس به (عبد الرحمن بن خلدون)[2] الذي قام بالتدريس في الأزهر ، وأيضاً العلامة (محمد الفاسي)[3] الذي قام بالتدريس في الأزهر ، وأيضاً العالم الزواوي[4] والغماري[5].

وكما تميز الأزهر بكثرة علمائه ، واختلاف جنسياتهم وتخصصاتهم ، تميز أيضاً بطريقته التعليمية الخاصة به وبامتحاناته . كما اكتملت لدى الأزهر مقومات المعاهد العلمية من حيث إعطاء الشهادات المختلفة لطلابه ، وكذلك كانت له نظمه الخاصة في الامتحانات مما مكّنه من القيام بدور تعليمي كبير.

---

1 - الدماميني : محمد بن أبي بكر بن عمر ، ولد سنة 763هـ/ 1361م ، تتلمذ على يد المنتبى وابن عرفة وابن خلدون ، كان يقوم بتدريس النحو في الجامع الأزهر ، كان يحضر مجالس الملك المؤيد ، من أشهر مؤلفاته تحفة الغريب في حاشية على اللبيب ، توفي عام 828هـ/ 1424م . انظر التنبكتي: مصدر سبق ذكره ص 488، 489 .

2 - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن جابر بن خلدون ، ولد في تونس سنة 732هـ/ 1331م، وتلقى العلم عن الزواوي وابن العربي والحباني ، قد قدم لمصر وتولى التدريس في الأزهر ، ومن أشهر مؤلفاته العبر ، المقدمة ، توفي عام 808هـ/ 1405م ، ودفن في مصر ،أحمدبابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 250 ، 252 .

3 - محمد الفاسي : محمد بن أحمد بن علي ، من فاس ، تلقى العلم من القرافي وعبد الرحمن بن الخير ،تولى قضاء المالكية في عام 807هـ/ 1404م ، أشهر مؤلفاته شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ،مختصر حياة الحيوان ، توفي عام 842هـ/ 1438م ، نفسه ،ص 518 .

4 - الزواوي : أحمد بن صالح بن خلاسة الشهاب الزواوي ، من بلدة زواوة وهي بلدة صغيرة بالقرب من الحدود بين تونس والجزائر ، نزيل الأزهر ، تلقى العلم على يد الشريف بن الكويك ، توفي عام 855هـ/ 1451م عن عمر يناهز السبعين عاماً .انظر السخاوي، الضوء اللامع ، جـ1 ، ص 315 ، 316 .

5 - الغماري : أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري، عمل بالقضاء والإفتاء وتلقى العلم على يد عز الدين بن عبد السلام ، وكان مشهوراً بتفوقه في علم أصول الفقه ،توفي بتونس عام 682هـ/ 1283م . انظر أحمدبابا : نفسه ، ص 79 .

نظام الدراسة في الأزهر:

اتبع الأزهر منذ نشأته طرقاً وأساليب معينة في التدريس استمرت معه والتصقت به لفترة كبيرة من الزمن . وهذه الأساليب والطرق كانت تتبلور في نظام الحلقات التعليمية التي كانت تعقد في جنبات الجامع ولم ينفرد الأزهر بهذا الأسلوب حيث إن هذا الأسلوب أو هذا النظام مناسب تماماً لنظام الجامع .

وكان التصدير هو المتبع في الحلقات ، وتلخص عملية التصدير في قيام شخص بقراءة شيء من كتب التفسير أمام الشيخ ثم يبدأ الشيخ وهو الذي يطلق عليه لقب المتصدر في تفسير الآية التي وقع عليها الاختيار ثم يقوم بعد ذلك بإلقاء الدرس المقصود[1].

ومن الطرق التي كانت متبعة أيضاً في التدريس بالأزهر طريقة الإملاء[2]. وتعتمد هذه الطريقة على إملاء الدروس على الطلاب للاستذكار منها . وكان من نتائج استخدام تلك الطريقة في التدريس هو وجود كثير من الكتب المخطوطة التي وصلتنا حتى وقتنا الحاضر .

الامتحانات:

أما عن نظام الامتحانات فقد تميزت الامتحانات التي كانت تعقد بالجامع الأزهر بأنها غير مؤقتة بمواعيد معينة ، وإنما كانت تعتمد على مدى قدرة الطالب على الاستعداد للامتحان ، فعندما يجد الطالب في نفسه القدرة على الحفظ والفهم والاستعداد للامتحان كان يتقدم بطلب لعقد هذا الامتحان ، ويعرض الكتاب الذي حفظه على شيوخه الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب[3] ، فيبدأ الشيخ في اختيار بعض الأبواب بطريقة عشوائية ، ويطلب من الطالب الممتحن أن يقوم باسترجاعها ، فإذا تمكن الطالب من

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ11 ، ص 251 .

2 - حاجي خليفة : مصدر سبق ذكره ، جـ1 ، ص 161 .

3 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص325 .

الاسترجاع بدون تردد أو خوف ، شهد له الشيخ بمقدرته على الحفظ ، ثم يكتب له ورقة مربعة صغيرة ، ويعلن فيها أن الطالب قد عرض عليه ونجح . وكان يشترك في تحرير هذه الورقة جميع الشيوخ الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب[1] ، وتسمى تلك الورقة إجازة أي شهادة بالنجاح في هذا المقرر أو ذلك الكتاب .

وكانت الإجازات التي يعطيها المدرسون للطلاب في الأزهر ذات قيمة هامة في حياة الطلاب إذ أنها ستؤهلهم بعد ذلك للعمل في التدريس والإفتاء ، وقد انقسمت الإجازات إلى عدة أنواع وهي :

إجازة الفتيا والتدريس :

تُعطى هذه الإجازة للطالب ، إذا تأهل للفتيا أو التدريس ويعطيها له شيخه ، وكانت هذه الإجازة تكتب على ورق عريض ، ونوع الخط فيها يكون رقعة في أسطر متوالية[2].

إجازة عراضة الكتب :

تعطى هذه الإجازة للطالب الذي يحفظ كتاباً في الفقه أو النحو وأي مادة من المواد المقررة ، بعد أن يستظهره على شيخه وتكتب له الإجازة في ورق مربع صغير[3].

إجازة تدريس مادة أو مادتين :

تعطى هذه الإجازة للطالب الذي يرغب في العمل بالتدريس في مادة واحدة أو مادتين ، طبقاً لقدراته وميوله[4].

وكانت الأساليب التي تكتب بها الإجازات مختلفة وخصوصاً في عصر سلاطين المماليك ، حيث اهتمت الإجازات بأسلوب زخرفة العبارات ، مع استخدام أسلوب

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ14 ، نفس الصفحة .

2 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص 325 .

3 - المصدر السابق ، جـ14 ، نفس الصفحة .

4 - القلقشندي : نفسه ، جـ14 ، ص 327 .

الـجمع . وكانت بيانات الإجازة تحتوي على اسم المجاز له ، وذكر نسبة مع عبارات المديح والثناء على الطالب الحاصل على تلك الإجازة ، كما كان يذكر في الإجازة اسم المجيز وذكر أساتذته الذين تلقى العلم عليهم وأسماء مؤلفاته التي قام بتأليفها[1].

كما كانت الألقاب تمنح حسب قيمة الطالب المجاز ،وكانت أشهر الألفاظ المستخدمة هي «الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ ، العالم ، العامل ، الأوحد ، الفاضل ، رحلة القاصدين ، فلان بن فلان[2]».

وقد كانت الإجازات تصدر عن المشايخ بصفة شخصية وليس من الجامع ، أي تعود في نسبتها للشيخ المجيز فقط ، كما أنها يمكن أن تُعطَى من أكثر من عالم ، وليس لها مدة موقوتة[3].

إقامة الطلاب في الأزهر:

تميز الجامع الأزهر الشريف ، بتجهيز أماكن لإقامة طلابه ، فكانت تخصص للطلاب أروقة يقيمون فيها ، وكانت هذه الأروقة تعتبر بمثابة مدن جامعية بالمفهوم الحديث ومن أشهر هذه الأروقة رواق المغاربة[4] والبرنو[5]والجبرتية[6] والبرابرة[7] والدكارنة[8]

---

1 -القلقشندي: صبح الأعشى ،جـ14 ، ص 325 .

2 - المصدر السابق، جـ14 ، ص 327 .

3 - المصدر السابق ، جـ14 ،ص 327 .

4 - رواق المغاربة : يقع هذا الرواق غرب صحن الجامع الأزهر ، وتم تجديد هذا الرواق في عهد السلطان قايتباي المحمودي ، وقد نزل فيه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، أثناء وجوده في مصر . انظر عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ، جـ1 ، ص 243 .

5 - رواق البرنو : كان مخصصاً للطلبة الوافدين من السنغال والنيجر وغانا ، ويقع هذا الرواق في زاوية الرحبة ، خارج باب الأتراك . انظر علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ4 ، ص 54 .

6- رواق الجبرتية : كان هذا الرواق مخصصاً للطلبة الوافدين من بلاد الحبشة ويقع داخل رواق البرنية ، وله مكتبة كبيرة . انظر علي مبارك : المصدر السابق ،جـ4 ، ص 54 .

7 - البرابرة : خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من موريتانيا ويقع شمال باب المقصورة . انظر علي مبارك: نفسه ، جـ4 ،ص 57 .

8 - الدكارنة : كان هذا الرواق مخصصاً لطلبة التكرور وسنار ، ودارفور وشيوخه من التكرور ، المصدر السابق نفسه ، جـ4، ص 52 .

ودكارنة صليح[1]. وكان توزع هذه الأروقة طبقاً للبلدان النازحين منها ، واتسمت العلاقة بين الطلبة بروح الأخوة الإسلامية ، لدرجة أنهم كانوا يرثون بعضهم البعض ، كما يتضح ذلك من خلال منشور المساواة الذي طبقه السلطان برقوق على طلبة العلم في الجامع الأزهر .

1 – دكارنة صليح : للطلبة الوافدين من تشاد ويقع بجوار رواق الشرقاوية ، المصدر السابق ، جـ4 ، ص 57 .

4 - الحياة العلمية بعد عصر المماليك

أولاً : مناهج الدراسة:

كانت العلوم التي تدرس في الأزهر بعد عصر المماليك تنقسم إلى أنواع وهي :

أ – العلوم القديمة:

كانت تنقسم هذه العلوم إلى قسمين وهما مقاصد ووسائل . فأما المقاصد فهي علم الكلام ، والأخلاق ، والفقه وأصوله ، وتفسير القرآن الكريم ، وعلم الحديث . أما الوسائل فهي النحو ، والصرف ، والمعاني ، والبديع ، والمنطق ، ومصطلح الحديث ، والحساب ، والجبر ، والعروض والقوافي .

ب – العلوم الحديثة:

هي العلوم التي تقرر تدريسها نتيجة جهود مجلس إدارة الأزهر وشملت علوم التاريخ الإسلامي ، والإنشاء تحريري وشفوي ، وعلم اللغة متناً وأدباً ، وعلم الهندسة ، وتقويم البلدان ، والعلوم العقلية مثل الفلسفة ، وعلم الخطوط .

ج – الكتب الدراسية :

كانت الكتب التي تدرس في الأزهر متنوعة وتغطي كافة مجالات الدراسة به وأشهر هذه الكتب :

كتب العلوم الشرعية:

كانت تدرس في التوحيد كتب مثل أم البراهين للشيخ محمد السنوسي ، وكتاب شرح البيجوري ، كتاب العقائد النسفية بشرح السعد للتفتازاني ، وكتاب الخريدة للشيخ الدردير ، وكتاب طوالع الأنوار للبيضاوي . أما كتب التفسير فكان يدرس في الأزهر كتاب الكشاف ، وتفسير الجلالين ، والنسفي ، والرازي . وفي علم الحديث

كانت تدرس كتب مثل صحيح البخاري بشرح القسطلاني ، والشفاء للقاضي عياض ، صحيح مسلم بشرح النووي ، وموطأ مالك بشرح الزرقاني . وبالنسبة لكتب التجويد كانت تدرس التحفة للجمزوري ، وكتاب الشاطبية للشاطبي . أما كتب الفقه الحنفي فكان يدرس كتاب نور الإيضاح للشرنبلالي ، وفي الفقه المالكي كانت تدرس كتب مثل شرح العشماوية للعشماوي ، وكتاب مختصر خليل ، وبالنسبة للفقه الشافعي كانت تدرس كتب مثل التقريب لأبي شجاع ، الأشباه والنظائر للسيوطي ، وكتب الفقه الحنبلي هي متن الدليل للشيخ مرعي . أما كتب أصول الفقه فهي جمع الجوامع للسبكي ، وكتاب الورقات .

وبالنسبة للعلوم العربية فأشهر الكتب في النحو هي ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل ، وكتاب الأجرومية والتوضيح مع شرح الشيخ خالد . أما كتب البديع فهي المفتاح بشرح السعد ، وعقود الجمان للسيوطي .

ثانياً : مواقيت الدراسة:

كانت الدراسة تتم في الأزهر طبقاً للآتي ، بعد الفجر كان يتم تدريس التفسير والحديث . وبعد الشروق الفقه . وبعد الظهر النحو والصرف ، والمعاني والبديع ، وأصول الفقه العصر الحساب والتاريخ والجغرافيا . أما بعد الغروب فكان يتم تدريس المنطق ، وآداب البحث . وكانت مدة الدرس من ساعة إلى ساعتين ، ومعظم الطلبة كان يتلقى درسين أو أكثر طبقاً لقدراتهم ، واستعداداتهم .

ثالثاً : الأجازات الدراسية والعطلات:

كانت الدراسة تُعطل في الأزهر سنوياً في شهر شعبان ورمضان والنصف الأول من شوال ، ولمدة خمسة وأربعين يوماً أثناء الحرارة العالية في الصيف . وهناك عطلات أخرى في العيدين ، ويوم المحمل ، ويوم عاشوراء ، وكسر الخليج .

رابعاً : نظام الامتحانات والشهادات:

أ - الامتحانات:

أما عن نظام الامتحانات فقد تميزت الامتحانات التي كانت تُعقد بالجامع الأزهر بأنها غير مؤقتة بمواعيد معينة ،وإنما كانت تعتمد على مدى قدرة الطالب على الاستعداد للامتحان ، فعندما يجد الطالب في نفسه القدرة على الحفظ والفهم والاستعداد للامتحان كان يتقدم بطلب لعقد هذا الامتحان ، ويعرض الكتاب الذي حفظه على شيوخه الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب ،فيبدأ الشيخ في اختيار بعض الأبواب بطريقة عشوائية ، ويطلب من الطالب الممتحن أن يقوم باسترجاعها ، فإذا تمكن الطالب من الاسترجاع بدون تردد أو خوف ، شهد له الشيخ بمقدرته على الحفظ ، ثم يكتب له ورقة مربعة صغيرة ، ويعلن فيها أن الطالب قد عرض عليه ونجح . وكان يشترك في تحرير هذه الورقة جميع الشيوخ الذين يقومون بتدريس ذلك الكتاب . وتسمى تلك الورقة إجازة أي شهادة بالنجاح في هذا المقرر أو ذلك الكتاب .

ب - الشهادات الدراسية :

بدأت الشهادات الرسمية تظهر في الأزهر منذ عام 1288هـ ، وبلغ عددها ثلاث شهادات وهي شهادة الإعفاء من القرعة العسكرية وكانت تعادل الشهادة الابتدائية وتُعطى للطالب الذي أمضى ثلاث سنوات دراسية ، وكان الطالب يمتحن فيها صورياً.

والنوع الثاني من الشهادات كانت الشهادة الأهلية وتعطى لمن أمضى ثماني سنوات في الأزهر ، وكانت ممهورة بختم شيخ الأزهر وتجيز لصاحبها العمل بالإمامة والخطابة ، والتدريس في المرحلة الابتدائية ،وكانت تمنح للطالب بعد اجتيازه امتحاناً أمام لجنة مكونة من ثلاثة مشايخ تحت إشراف شيخ الأزهر .

أما ثالث الأنواع فكانت الشهادة العالمية وقد ظهرت هذه الشهادة في عام 1288هـ

وكان الغرض منها إعداد مدرسين للتصدر بالتدريس في الأزهر . وكانت تُمهر بخاتم الخديوي ويُعطى صاحبها كسوة شريفة إن كانت من الدرجة الأولى . وكانت شروط الحصول على العالمية هي أن يكون الطالب قد درس التفسير والحديث ، والتوحيد ، والمنطق ، والمعاني ، والبديع ، والفقه من كبار الكتب المقررة فيها ، وكانت تعقد لجنة برئاسة شيخ الأزهر واثنين من كبار العلماء في المذاهب الثلاثة ويزاد عليهم عالم في الفقه الحنبلي إذا كان الطالب حنبلي المذهب . وكانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي الدرجة الأولى لمن أجاب على كل الأسئلة ، والدرجة الثانية لمن أجاب على بعض الأسئلة ، والدرجة الثالثة لمن أجاب عن جزء من الأسئلة . كما كان يشترط فيها ألا تقل المدة التي قضاها الطالب عن اثنى عشرة سنة .

وبعد التطوير عام 1961م ، تغيرت مسمى الشهادات، والمراحل فوجد التعليم الابتدائي ، وأصبح مسمى شهادته الشهادة الابتدائية . وتم تخفيض سنوات الشهادة الإعدادية ،فأصبحت ثلاث سنوات بدلاً من أربع ،وأصبحت شهادةهذه المرحلة تسمى الشهادة الإعدادية . أما بخصوص التعليم الثانوي فأصبحت سنوات دراسته أربعاً بدلاً من خمس ،ثم عدلت إلى ثلاث سنوات قريباً ، وأصبحت تسمى الشهادة الثانوية .

الطلبة ومدرسو الأزهر:

أولاً : الطلبة :

أ - جنسيات الطلبة:

تميّز الأزهر بطابعه العالمي حيث كان طلابه من كافة أصقاع العالم الإسلامي . وقد توافرت عوامل عديدة جعلت الأزهر مقصداً لهؤلاء الطلاب منها أن الأزهر كان يقوم بتدريس كافة المذاهب الإسلامية . ومنها مدى العناية التي كان يجدها الطالب سواء كانت عناية تعليمية أو مادية . ضف إلى جانب ذلك شهرة العلماء الأزهريين وبراعتهم في العلوم الإسلامية . إلى جانب ذلك كان هؤلاء الطلبة يجدون كل التقدير حين العودة إلى بلادهم .

ب - نوعيات الطلاب:

كان معظم الطلبة في الأزهر من الذكور ، وإن كان ذلك لايمنع من قيام النساء بالدراسة فيه . وحالياً كثر عدد النساء اللاتي يدرسن بالأزهر . كما كان الأزهر لايحجر على أصحاب الديانات الأخرى من الدراسة فيه وقد قام بعض المستشرقين بالدراسة في الأزهر مثل المجري جولد زيهير ، ولكن كان معظمهم يأتي متخفياً ، وقد كان يتلقى العلم على يد الشيخ الأشموني .

ج - طرق التحاق الطلبة:

كان الطلبة ينقسمون حسب جنسياتهم إلى نوعين وهما طلبة مصريون ، وطلبة أجانب وكان لكل نوع طريقة للتقدم والالتحاق بالأزهر فالنسبة للطلبة المصريين كان يُشترط ألّا يقل سن الطالب عن خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن يجيد القراءة والكتابة ، وأن يكون حافظاً لنصف القرآن الكريم على الأقل إذا كان مبصراً أو كله إذا كان كفيفاً . وكان يعرض الطالب على لجنة لاختباره . فإذا نجح يتم إرساله لطبيب الأزهر لتوقيع الكشف عليه ولتطعيمه ، ثم يرسل إلى المشايخ الذين اختارهم للتدريس ، ثم يُقيَّد في سجلات الرواق ، وفي سجلات الأزهر .

أما بالنسبة للأجانب فقد اختلفت طريقة التقديم من جنسية لأخرى فعلى سبيل المثال في رواق المغاربة كان شيخ الرواق ، ونقيبه وبعض الطلبة النابغين يقومون بعقد امتحان للطالب المتقدم من المغاربة في القراءة فقط .

د - المصاريف الدراسية وإعاشة الطلاب:

كانت الدراسة في الأزهر ومازالت مجانية حتى الآن . وقد كان يُصرف للطالب جراية مقررة من الخبز يومياً تبلغ رغيفاً ونصفاً ، وأكثرها ستة أرغفة . كما كان يدفع للطلبة أموال من ريع الأوقاف وتبلغ قيمتها قرشين ، وأكثرها مائة قرش شهرياً .

هـ- الإقامة:

كان الطلبة في الأزهر يقيمون في الأروقة وهي أماكن ملحقة بالمسجد ومتصلة به، وقد ألحقت بها مطابخ، وأماكن لغسيل الملابس. كما وجد بجوار الأروقة الحارات وهي تشبه الرواق ولكن لا توجد فيها أماكن مخصصة للمبيت.

وقد بلغ عدد الأروقة في الأزهر في القرن العشرين حوالي تسعة وعشرين رواقاً. منها اثنا عشر رواقاً للمصريين مثل رواق الصعايدة، ورواق الشراقوة، والبحيرة، والفيمة (أهل الفيوم) ورواق الفشنية (أهالي بني سويف) ورواق الغربية.

أما أروقة الأجانب فمن أشهرها رواق المغاربة لأهل شمال أفريقيا، ورواق الأتراك، ورواق التكارنة لأهل غرب أفريقيا، ورواق الزيالعة لأهالي الصومال. ورواق البرابرة لأهالي السودان، ورواق السليمانية لأهالي أفغانستان، ورواق صليح لأهالي نشاد. كما وُجدت أروقة مفتوحة لعامة الطلبة دون التقيد بجنسية أو مذهب مثل رواق يعمر.

أما عن الموارد المالية للأروقة التي كان يُنفق منها عليها فكانت عبارة عن الأموال التي كانت موقوفة على الجامع الأزهر بصفة عامة أو التي كانت تخصص للأروقة من التبرعات التي كان يقدمها أهل الخير للإنفاق منها على الطلبة، وأيضاً وجود مورد ثابت وهو هبات السلاطين و الأفراد التي كانوا يهبونها للأروقة وكانت مصارف هذه الأموال تُستخدم في شراء الكتب و الإنفاق على الطلبة الفقراء و أيضاً شراء الخبز لهم. وكانت هذه الأموال لا تخضع لرقابة الدولة وتتمتع بالاستقلال المالي، والشرط الوحيد الذي كانت تخضع له هو وصية الواقف وما جاء بها من شروط وضوابط للصرف والتخصيص.

أما عن التنظيم الإداري الذي كان يُطبّق في الأروقة، فكان موزعاً بين مستويات

وظيفية مختلفة ، يأتي على رأسها منصب شيخ الرواق ، وكان من مهام منصبه قيامه بالإشراف على الرواق وقيامه بالإشراف على توزيع الأطعمة والعطايا على الطلاب ، وقيامه بالدفاع عن الطلاب وحمايتهم ، والإشراف أيضاً على موظفي الرواق . وكان يتولى هذا المنصب من توافرت فيه شروط معينة مثل أن يكون من علماء الجامع الأزهر ، وأيضاً قيامه بالتدريس في الجامع ، مع انتمائه لنفس البلد الذي ينتمي إليه الرواق ، وأيضاً يتبع نفس المذهب . وكان يتم اختيار شيخ الرواق عن طريق الطلبة أي بالانتخاب .

ويأتي في المرتبة الثانية بعد شيخ الرواق منصب نقيب الرواق ، وكان من مهام منصبه استقبال الطلبة الجدد الملتحقين بالأزهر ، وتسجيل أسمائهم في سجلات تحفظ بصفة دائمة عنده ، وأيضاً كان يتولى الإشراف على أعمال الكتبة في الرواق ، ويحضر توزيع الجراية والأعطيات على الطلبة ، وأيضاً كان يشرف على مطبخ الرواق وخدامه وعلى المسئول عن مكتبة الرواق .

أما عن حياة الطلبة بداخل الأروقة فتميزت بروح الود والتعاون ، حيث كانوا يتعاونون في الأعمال اليومية الخاصة بالرواق مثل نظافته والاعتناء بفرشه وحصره ، وكانت الاحتفالات التي تُقام بالأروقة تشهد بمدى قوة هذه العلاقات بين الطلبة ، ومن أشهرها الاحتفال الذي كان يقام عند تخريج الطالب.

و - عادات الطلبة :

كانت لطلاب الأزهر عادات احتفظوا بها مثل قيامهم بمراجعة أساتذتهم قبل إلقاء الدروس حتى إذا جاءوا للدرس كانوا على بينة منهم . ومن عاداتهم اشتراكهم جميعاً في شراء الكتب الغالية الثمن ويطالعونها سوياً . ومن العادات أنهم كانوا لايخرجون فرادى وإنما في جماعات للتنزه وغيره . وأيضاً احترامهم الشديد لأساتذتهم وكانوا يُقبّلون أيديهم

قبل الدرس وبعده ، وإذا مات أحد الشيوخ حزنوا عليه ثلاثة أيام ، وأحيوا ذكراه ثلاث ليال بجوار العمود الذي كان يلقي دروسه عنده . كما كان من عادة الطلاب ألا يهتموا إلا بدراسة مذهبهم فقط .

ثانياً: الأساتذة:

أ – أقسام الأساتذة:

كان المدرسون في الأزهر طبقاً لمؤهلاتهم ، ينقسمون إلى قسمين ، وهما القسم الأول الذين عُينوا قبل عام 1288م قبل إنشاء شهادة العالمية . أما القسم الثاني وهم الحاصلون على شهادة العالمية ، فقد انقسموا بدورهم لثلاثة أقسام وهم علماء الدرجة الأولى وكان لهم الحق في تدريس ما شاءوا من العلوم والكتب . وعلماء الدرجة الثانية لم يكن لهم الحق إلا في تدريس الكتب المتوسطة مثل كتاب الأشموني في النحو . وعلماء الدرجة الثالثة وكانوا يدرسون الكتب الصغيرة .

ب – امتيازات الأساتذة:

كان لأساتذة الأزهر العديد من الامتيازات مثل عدم دفعهم أجرة عند ركوب القطارات هم وأتباعهم ، ثم عُدِّلت بعد ذلك لدفع نصف أجرة فقط ، وكان الذي أعطاهم هذا الحق سعيد باشا .

كما كانوا يتعممون بالكسوة الشريفة يرتدونها في الأعياد والاحتفالات ، وكانت الكسوة عبارة عن شريط مقصَّب يوضع حول العمامة وفرجية وهي العباءة .

وقد كان في حالة وفاة أحد الأساتذة تعطلت الدراسة لمدة ثلاث ليالي ، وقام المؤذنون من فوق المآذن بقراءة الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان: 5] فيحضر الناس من جميع أنحاء القاهرة للصلاة عليه .

ج - المرتبات :

تنوعت مرتبات الأساتذة في الأزهر طبقاً لتوقيت صرفها وقيمتها . فكانت هناك مرتبات يومية ، وشهرية ، وسنوية . وكانت المرتبات اليومية عبارة عن صرف جراية من الخبز لا تقل عن عشرة أرغفة .

أما المرتبات الشهرية فقد كانت تتفاوت طبقاً لدرجة العالم ، فعالم الدرجة الأولى كان يحصل على مائة وخمسين قرشاً ، والدرجة الثانية مائة قرش ، والدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشاً هذا بالنسبة للمرتبات الشهرية .

أما المرتبات السنوية فكان يصرف للعلماء بدل كسوة بما يعادل اثنى عشر جنيهاً سنوياً كحد أدنى ، والحد الأقصى ثلاثون جنيهاً في السنة . ومنها ما كان يسمى مثمن الغلال وهو بدل مالي كان يقسم بينهم حسب الحاجة .

وعلى الرغم من ضآلة هذه المرتبات فإنها كانت تكفيهم نظراً لأنهم كانوا يميلون لحياة الزهد والتقشف ، وبُعْدهم عن زخارف الحياة .

ولم يتوقف دور الأزهر على العطاء العلمي للقادمين إليه فقط ، بل امتد عطاؤه إلى بلدان القارة الأفريقية وامتدت نواحي هذا العطاء لتغطي كافة جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، كما في كافة بلدان القارة الجغرافية في شمالها وغربها ووسطها وشرقها ، وذلك عن طريق إرسال علمائه أو استقبال الدارسين من هذه البلدان أو تطبيق النظم العلمية في تلك البلدان أو نشر الدين الإسلامي وترشيد الحياة الاجتماعية فيها.